﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤﴾ [الشّورى: 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تحذيرٌ للظّالمين الضّالّين بعد تذكيرهم

بعدَ أنْ حَكى اللّه تعالى أصنافًا مِن كُفرِ المشركينَ وعِنادِهم وتَكذيبِهم، ثمَّ ذكَّرَهم بالآياتِ الدّالَّةِ على انفرادِ اللّهِ تعالى بالإلهيَّةِ وما في مَطاوِيها مِن النِّعَمِ، وحذَّرَهم مِن الغُرورِ بمَتاعِ الدُّنيا الزائلِ؛ أعقبَه بقولِه: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾[1].

وأيضًا: بعد أن بيَّن تعالى للمؤمنين في الآيات السّابقة المنهجَ القويم الَّذي يجبُ أن يُتَّبع في الحياة الدُّنيا، وصفةَ المؤمنين الَّذين يَدَّخِرُ اللّهُ لهم عنده ما هو خيرٌ وأبقى؛ يعرضُ هنا صورةَ من خرجَ عن هذا المنهج، فهو ضالٌّ أضلَّه اللّهُ عن سبيل الهداية والعدل، وما ينتظره من ذُلٍّ وخسران[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُضۡلِلِ﴾: الضَّلالُ: العُدولُ عَن الطَّريقِ المُستَقيم، ويُستعمَلُ ممَّن يكونُ منه خطأٌ ما، ولذلك نُسِبَ الضَّلالُ إلى الأنبياء بمعنى الخطأ[3]، ومعنى ﴿يُضۡلِلِ ٱللَّـهُ﴾، أي: خذلَه اللّهُ عن الرَّشادِ، أو حِرمانُهُ مِن تَدارُكِهِ إيّاهُ بالتَّوفيقِ[4].

2) ﴿مَرَدّٖ﴾: الرَّدُّ: صَرفُ الشَّيءِ ورَجْعُه، وردَّ عَليهِ الشَّيءَ؛ إذا لم يَقبَلْهُ، واستَرَدَّ الشَّيءَ وارتَدَّه: طَلَبَ رَدَّهُ عَليهِ[5]، وقيل: ردَّ يَتَعَدَّى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 123.
(2) صلاح سليمان، من أسرار التّعريف والتّنكير في سورة الشّورى، ص: 298.
(3) الرّاغب، المفردات: (ضلل).
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 551، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 123.
(5) ابن منظور، لسان العرب: (ردد).

إلى المفعولِ الثّاني بإلى عِند إرادةِ الإكرام، وبِعَلى للإهانة[1]، والمَرَدُّ: مَصدَرٌ مِيميٌّ لِلرَّدِّ، والمُرادُ بِالرَّدِّ: الرُّجوعُ، ويجوزُ أن يَكونَ ﴿مَرَدٍّ﴾ بِمَعنَى الدَّفعِ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تسلية النَّبيِّ بتصويرِ هولِ الموقف على الظّالمين في اليومِ الآخر

يسلّي اللّهُ رسولَه ﷺ حتّى لا يستبدَّ به الأسى من فَرْطِ عنادِ قومه، فيُقرِّرُ سبحانه أنَّه المنفردُ بالهدايةِ والإضلالِ، فيقولُ: ومَن يُضلِلْه اللّهُ عن طَريقِ الحَقِّ بسَبَبِ ظُلمِه؛ فليس له أيُّ وليٍّ يَتولّاه، فيهديه، أو ينصره بعد إضلالِ اللّهِ إيّاه، ثمَّ سَلّى اللّهُ نبيَّه بالإشارة إلى ندمِ الضّالين حين يرون العذابَ يوم القيامة، فيقول: وترى الَّذين ظَلَموا أنفُسَهم - يا مُحمَّدُ - يقولونَ حينَ رُؤيةِ العَذابِ يومَ القيامةِ: هل لنا طريقٌ أو وسيلةٌ للرُّجوعِ إلى الدُّنيا؛ لِنَعمَلَ بطاعةِ اللّهِ؟ وجاء ذلك جَزَعًا ممّا هم فيه.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواو في: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾:

بيانُ حالِ الظّالمين، وما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الأليم والخذلان

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ عاطفة، والمعطوفُ عليه قولُه: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾[3]، فكلتا الجملتين عن حالِ الظّالمين، وما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الأليم والخذلان.

معنى (مَنْ) ودلالتُها في: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾:

ذمٌّ وتهديدٌ لكلِّ من يَحكمُ اللهُ بخذلانه

(مَنْ) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾، تحتملُ أن تكون شرطيَّةً، والفاءُ رابطةٌ لجوابِ الشَّرط، والشَّرطيَّةُ تُفيدُ اقترانَ نفيِ النّاصر للضّالين الظّالمين بخذلان

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (ردد).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 123.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 123.

اللّه تعالى إيّاهُ، مع إفادة العموم، وهذا يعني: أنَّ أيَّ أحدٍ يُقدِّرُ اللّهُ تعالى عليه أن يَضِلَّ، فإنَّه لا يُمكِنُ أن يتولّاه أحدٌ بعدَ اللّه، ومعنى هذا: أنَّه لا يُمكِنُ أن يَهدِيَه أحدٌ، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجاثية: 23][1]، أو أن تكون (مَنْ) موصوليَّة، وجاءتِ الفاءُ لِما تضمَّنته الجملةُ من معنى الشَّرط، والمعنى: والَّذي يُضْلِلهُ اللّهُ، فما له من وليٍّ من بعده، والتَّعريفُ بالموصوليَّة هنا للإشارةِ إلى وجهِ بناء الخبر، فجملة الصِّلة ﴿يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ تُنبِئ بأنَّ الخبر الَّذي سيأتي بعدَها، سيكون ذمًّا وتهديدًا، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ﴾[2]، وأيضًا أفادتِ العمومَ والإبهام؛ ليشملَ كلَّ ظالمٍ باغٍ، وأنَّه ضالٌّ مخذول.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ: ﴿يُضۡلِلِ﴾ مادَّةً وصيغةً:

من سنن الله أنَّه لا يزيغُ عن شرعِ اللّه الواضحِ أحدٌ إلّا بطردٍ عظيم

آثرَ القرآنُ الكريم استعمالَ لفظِ الضَّلال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ﴾؛ لبيانِ أنَّ ما شرعه من الطَّريق في غايةِ الوضوح لا يزيغُ عنه أحدٌ إلّا بطردٍ عظيم[3]، كما أنَّ التَّعبير بلفظ ﴿يُضۡلِلِ﴾ دون (يضلُّ)، يدلُّ على أنَّ إضلالَ اللّه للظّالمين والباغين في الأرض بعدم البيان أو بعدم التَّوفيقِ هو إضلالٌ واضحٌ؛ لأنَّهم لم يريدوا الهدايةَ، واتَّبعوا الشَّيطان[4]، وفي إيثار المضارعة على الماضي، فلم يقل: (أضلّ)؛ ليَعُمَّ الحُكمُ كلَّ الأوقات، ولدَفعِ التَّوهُّم أنَّ هذه السُّنَّةَ الإلَهيَّةَ خاصَّةٌ بالماضي.

الغرضُ من إسناد الإضلال إلى اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾:

تهويلٌ لشأنِ خذلان اللّهِ للظّالمين الباغين وتفظيعه

في إضافة الإضلالِ إلى اللّه - الجامعِ لصفات الجلال والكمال - عن طريق الفاعليَّة في قوله: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ تهويلٌ لشأنِ هذا

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الشّورى، ص: 313.
(2) صلاح حبيب سليمان، من أسرار التّعريف والتّنكير في سورة الشّورى، ص: 298.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 341.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 341.

الإضلالِ وتفظيعه؛ لِما في الاسم الجليل من تربيةِ المهابة في النُّفوس والتَّخويف، وجاء ذلك مبالغةً في التَّحذير منه بالامتناع عن أسبابه.

بلاغةُ التَّعبير بالكنايةِ في: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ﴾:

نفْيُ الوليِّ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ كِنايةٌ عن نَفي أسبابِ النَّجاةِ عن الضَّلالةِ وعَواقبِ العُقوبةِ عليها؛ لأنَّ الوليَّ مِن خَصائصِه نفْعُ مَولاهُ بالإرشادِ والانتشالِ والنُّصرة، فنَفْيُ الوليِّ يدُلُّ بالالتزامِ على احتياجٍ إلى نَفْعِه مَولاه، وذلك يَستلزِمُ أنَّ مولاه في عَناءٍ وعَذابٍ، فهذه كِنايةٌ تلويحيَّةٌ، وقد جاء صريحُ هذا المعنى في قولِه: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزّمر: 23]، وقولِه: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٖ ٤٦﴾ [الشّورى: 46][1]، وفي هذا تَحقيرٌ لأمْرِ الكفَرة[2].

نفْيُ الوليِّ يَستلزِمُ أنَّ مَوْلاه في عَناءٍ وعَذابٍ

الغرضُ من تقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ على ﴿مِن وَلِيّٖ﴾:

﴿لَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿وَلِيّٖ﴾ مجرورٌ لفظًا مرفوعٌ محلًّا على أنَّه مبتدأٌ مؤخَّر[3]، وفي تقديم الخبر إفادةُ الاختصاص، أي: ليس لمن يُضِلُّه اللّهُ أيُّ وليٍّ في ذلك الوقت، وهو يومُ القيامة[4]، كما أنَّ التَّقديمَ يُعطي انطباعًا بالتَّحذير من حال هذا الشَّخص الَّذي لا يوجَد من يُسانده.

تحذيرٌ من حالِ مَن حقَّتْ عليه كلمةُ اللهِ أن يكون من أهلِ الضَّلال

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتُها في جرّ ﴿وَلِيّٖ﴾ منكّرًا:

أفادَ دخولُ ﴿مِن﴾ على اللَّفظ المُنَكَّر ﴿وَلِيّٖ﴾ في سياقِ النَّفي تأكيدَ استغراقِ النَّفي وشمولِه كلَّ أفرادِ المنفي - وهم الأولياء - أي: ليس له أيُّ وليٍّ يَتولّاه، فيهديه، أو ينصره بعد إضلال اللّه إيّاه عن طريقِ الحقِّ.

تأكيدُ استغراقِ نفي الوليِّ لمَن حَكمَ اللهُ بخذلانه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 123.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 346.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 47.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 341.

معنى ﴿مِّنۢ﴾ ودلالتُها في ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾:

﴿مِّنۢ﴾ في قوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ إمّا لتوكيدِ نفي أيِّ ناصرٍ أو مُحبٍّ أو قريبٍ للضّالّين غير الله سبحانه[1]، أو لابتداء الغاية، وهي معنويَّة؛ كنايةً عن تخلّي الله عن هؤلاء الضّالين، والمعنى: فما له من وليٍّ من بعد خذلان الله له، ومعاملتِه معاملةَ البعيد، مِن وكْلِهِ إلى نفسه وغيره من الخَلْق في شيءٍ من زمان البُعد، ولو قلَّ[2]، كما تُشير ﴿مِّنۢ﴾ إلى انتفاء الوليِّ عقيبَ الخذلان.

تخلّي اللهِ عن الظّالمين، وتأكيدُ نفي أيِّ ناصرٍ لهم غير الله

غرضُ الإضافةِ للضَّمير العائد للاسم الجليل في: ﴿بَعۡدِهِۦۗ﴾:

الضَّميرُ في قوله: ﴿بَعۡدِهِۦۗ﴾ عائدٌ على اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾[3]، والمعنى: فما له من وليٍّ دونَ الله أو غيره، وقد عبَّر بالضَّمير دونَ الاسم الظّاهر اختصارًا؛ لأنَّه سَبَقَ ذِكْرُه، ولأنَّه أعرفُ من أن يُصرِّح بالاسم الظّاهر، فلا ولايةَ يومَ القيامة إلّا ولايتُه، كما قال سبحانه: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر: 16]، وقيل: الضَّميرُ للخذلان المفهوم من ﴿يُضۡلِلِ﴾، والمعنى: ما له من ناصرٍ يتولّاه من بعد خذلانِ الله تعالى إيّاه[4].

إيجازٌ وتأكيدٌ على أنَّه لا ولايةَ يومَ القيامة إلّا ولايته سبحانه

بلاغةُ الاستعارة في: ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾:

(بَعْد) في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ بمعنى (دونَ) أو (غير)، استُعيرَ لفظُ (بَعْد) لمعنى (دونَ)؛ لأنَّ (بَعْد) مَوضوعٌ لِمَن يَخلُفُ غائبًا في مكانه أو في عَمله، فشَبَّهَ ترْكَ اللهِ الضّالَّ في ضلالِه بغَيبةِ الوليِّ الَّذي يَترُكُ مَوْلاه دونَ وصيٍّ ولا وكيلٍ لِمَوْلاه[5]، فحُذِفَ

في الاستعارةِ إشارةٌ إلى معاملةِ اللهِ للضّالين معاملةَ المتروكِ البعيد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 124.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 342.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 124.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 50.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 124.

مـا يـدلُّ علـى الحالة المُشبَّه بها، ورُمِزَ إليه بلازمه، وهو لفظ ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾.

دلالةُ عطف ﴿وَتَرَى﴾ على: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ﴾:

قولُه: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ عطفٌ على جُملة: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾، وهذا تَفصيلٌ وبَيانٌ لِما أُجمِلَ في الآيتَين المعطوفِ عليهما، وهما قولُه: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾، وقولُه: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾، والمعنى: أنَّهم لا يَجِدونَ مَحيصًا ولا وليًّا، فلا يَجِدونَ إلّا النَّدامةَ على ما فات، فيقولون: ﴿هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾[1].

عطْفُ بيانٍ لحالِ الضّالّين؛ فما وجدوا الوليَّ بل وجدوا النَّدامةَ

بلاغةُ التَّعبيرِ بالخطاب في: ﴿وَتَرَى﴾:

الخِطابُ في قوله: ﴿وَتَرَى﴾ لغيرِ مُعيَّنٍ، أي: عامٌّ يشملُ كلَّ مخاطبٍ؛ إشارةً إلى أنَّ حالَ الظّالمين في الظُّهور بحيثُ لا يختصُّ بها راءٍ دونَ راءٍ، أو الخِطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمقصودُ في الحالين: الإخبارُ بحالِهم أوَّلًا، والتَّعجيبُ منه ثانيًا، فلم يقل: (والظّالمونَ لَمّا رأَوُا العذابَ؛ يقولونَ)، وإنَّما قيل: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للاعتبارِ بحالِهم[2].

الإخبارُ بظُهورِ حالِ الظّالمين تعجيبٌ منه ودعوةٌ للاعتبارِ به

دلالةُ التَّعبير بالمضارع ﴿وَتَرَى﴾:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿وَتَرَى﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الرُّؤيةَ بصريَّةٌ، وقد آثرَ صيغة المضارعة؛ لما أنَّ الرُّؤيةَ ستكونُ يوم القيامة، أي: أُريد بها الاستقبال، مع تمثيلِ الصّورة، وكأنَّها تقعُ حالَ الخطاب، بما يكون أدعى للتَّعجُّب والاعتبار بحالهم.

تصويرٌ يستدعي التَّعجُّبَ والاعتبارَ بحالِ الظّالمين

دلالةُ التَّعبير بالإظهار ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دون الإضمار:

أظهرَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ الظّالمين - وهم منكرو الرِّسالاتِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 124.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 125.

السَّماويَّة والحياةِ الآخرة، وعبدةُ الأصنام من دون الله - في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يقل: (وتراهم)؛ لبيانِ أنَّ الضّالَّ ظالمٌ بكونه لا يَضَعُ شيئًا في موضعه، فوَصْفُهم بالظّالمين أبينُ في استحقاقهم العذاب، ويحتملُ أن يكونَ أظهرَ لفظَ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لقصده استغراقَ جنسِ الظّالمين، بأن يشملَ جميعَ الظّالمين، ويدخلُ ضمنَهم الظّالمينَ المذكورين في الآيات السّابقة، وهم الَّذين يظلمون النّاس، ويبغون في الأرض بغير الحقِّ.

الضّالُّ ظالمٌ بكونه لا يضعُ شيئًا في موضعه

دلالةُ التَّعبيرِ بـ: ﴿لَمَّا﴾:

عبَّر البيانُ الحكيم بـ﴿لَمَّا﴾ دون (حين) في قوله تعالى: ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ﴾؛ لتدلَّ على الشَّرطيَّةِ أو الحينيَّة؛ إذ لو عبَّر بـ(حين)؛ لَما دلَّتْ على معنى الشَّرطيَّة الَّتي تُفيدُ اقترانَ تحقُّقِ وقوعِ التَّمنِّي بالعودة إلى دار العمل، وتكراره؛ كلَّما رأوا العذاب، بما يُشيرُ إلى استمرار خيبةِ رجائهم.

اقترانُ تكرارِ تمنِّي الظّالمين بالعودة إلى دارِ العمل؛ كلَّما رأوا العذاب

دلالةُ التَّعبير بالماضي في: ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾:

جاء فِعلُ الرُّؤية في قوله تعالى: ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ بصيغةِ الماضي، وخولف بينَه وبين الأوَّل ﴿وَتَرَى﴾، مع أنَّ فعلَ ﴿رَأَوُا۟﴾ يقعُ في المستقبل، فالرُّؤيةُ المَذكورَةُ ليست بحاصِلَةٍ في الحالِ، إذِ التَّقدير: لَمّا يَرَوْنَ العَذابَ؛ وذلك للتَّنبيهِ على تَحقيقِ وُقوعِ رؤية العذاب[1]، فالمُضِيُّ مُستعارٌ للاستقبالِ؛ تشبيهًا للمستقبلِ بالماضي في التَّحقُّقِ[2]، وجاء ذلك تأكيدًا للوعيد الشَّديد الَّذي وعدَ اللّهُ به الظّالمين، فعذابُهم أمرٌ مُحَتَّمٌ[3].

رؤيةُ الظّالمين لعذابِ الآخرة محقَّقةُ الوقوع، وعذابُهم أمرٌ محتَّمٌ

دلالةُ التَّعبير بـ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ مُعَرَّفًا:

اللّام في ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ عهديَّةٌ، والعهد ذِكْريٌّ؛ لأنَّ اللَّفظَ ذُكِرَ قبلَ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 83، والآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 50.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 125.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 342.

عـــذابٌ يـــومِ القيامة عـذابٌ معـلـومٌ مصيرُ الظّالم إليه

ذلك مُنكَّرًا في قوله تعالى في جزاء الظّالمين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، وهو عذابُ يومِ القيامة، المعلومُ مصيرُ الظّالمِ إليه، والمعنى: لمّا رأوا العذابَ المعلوم مصيرُ الظّالم إليه رؤيةً محيطةً بظاهره وباطنه؛ يتمنَّون الرَّجعة إلى الدُّنيا؛ لتدارك ما فات[1].

دلالةُ التَّعبير بالفعل ﴿يَقُولُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

قـــولٌ تـصـوَّروه في أنـفـسـهـم، وتوهَّموا تحقُّق مـضـمـونِـه، ونطقوا به

التَّعبيرُ بالقول دونَ الصُّراخ والاستغاثة في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾؛ لكون التَّعبير بلفظ القول أنسبَ للمقام؛ إذ حالُهم هو حالُ تندُّمٍ وتحسُّرٍ، وخيبةِ أمل، وتمنٍّ لأمرٍ تصوَّروه في أنفسهم، وتوهَّموا تحقُّقَ مضمونِه، ونطقوا به؛ رغم علمِهم باستحالته، وهذا يناسبُه لفظُ القولِ الَّذي يُستعملُ على أوجهٍ، منها: للمنطوق من الأحرف، وللمُتَصَوَّر في النَّفس قبلَ التَّلفُّظ، وللاعتقاد، وللدَّلالة على الشَّيء، وللعناية الصّادقة بالشَّيء، وللإلهام[2].

دلالةُ التَّعبير بالجملة الحاليَّة الفعليَّة ﴿يَقُولُونَ﴾:

تـصـويـرٌ وتـكـرارٌ لـذُلِّ الـكـافـريـن وتـــهـــاوي كبريائهم

جملةُ ﴿يَقُولُونَ﴾ حالٌ من ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي: تراهم قائلين، فالرُّؤيةُ مُقَيَّدَةٌ بكونها في حال قولهم ذلك[3]، ولكنَّ البيانَ القرآنيَّ عبَّر عن الحال بالفعل المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾ دون (قائلين)، وخالفَ بين فعل ﴿يَقُولُونَ﴾ وبين فعل ﴿رَأَوُاْ﴾ في المضارعيَّة والماضويَّة؛ لأنَّ ﴿يَقُولُونَ﴾ أُريد به الاستقبالُ مع تمثيلِ ما سيقع، كأنَّه واقعٌ الآن تراهُ الأبصار، وللإشارة إلى أنَّ هذا القولَ يتكرَّر منهم كثيرًا، وفي هذا كنايةٌ لطيفةٌ عن خيبةِ رجائهم وعدمِ الاستجابة لهم في قولهم[4]، والمعنى: يقولون مُكرِّرين ممّا اعتراهم من الدَّهشِ، وغلبَ على قلوبهم من الوجلِ والانكسار[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 342.
(2) الرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (قول).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 125.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 36.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 342.

الغرضُ من التَّعبير بالاستفهام في: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾:

تنـدُّمُ الطُّغاةِ البُغاةِ على ما فاتَ، وفَزَعُهم وجَزَعُهم ممّا هم فيه

الاستِفهامُ بحَرْفِ ﴿هَلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ استفهامٌ مجازيٌّ، المرادُ منه التَّمنّي، ويُردَفُ على هذا المعنى: التَّندُّمُ على ما فات، والفَزَعُ والجزع ممّا هم فيه، وإيثار ﴿هَلْ﴾ توهُّمًا منهم للطَّمع في الاستجابة لهم[1]، أو يُرادُ به إنكارُ رجوعِهم إلى الحياة الدُّنيا، بما يدلُّ على قنوطهم ويأسهم من النَّجاة، أي: هو استفهام إنكاريٌّ في معنى النَّفي؛ ولذلك أُدخِلَت ﴿مِّن﴾ على ﴿سَبِيلٍ﴾؛ لأنَّه نكرة في سياق النَّفي[2].

دلالةُ التَّعبير بحرف ﴿إِلَىٰ﴾:

منتهى غايةِ الظّالمين الخلاصُ من عذابِ يوم القيامة

﴿إِلَىٰ﴾ حرف جرٍّ، ومعناه: انتهاءُ الغاية، وهي أمرٌ تمنَّوه، وهو الخلاصُ من العذاب الَّذي يلقونه، سواءٌ بالرُّجوعِ إلى الدُّنيا للعمل، أو بدفعِ العذاب عنهم.

دلالةُ عدمِ ذِكْر محلِّ المَرَدِّ في الآية:

الحذفُ للاختصار أو للإنباء بسوءِ حال الظّالمين

حذفَ البيانُ القرآنيُّ محلَّ المَردِّ في قوله تعالى: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾، فلم يَقُل: هل من مردٍّ إلى الدُّنيا؛ اختصارًا لأنَّه مفهوم من الكلام؛ لأنَّ الدُّنيا هي دارُ العمل والآخرة هي دار الجزاء، كما أنَّ الاختصار يُنبِئ بسوءِ حالهم الَّذي لا يقدرون فيه على بسط الكلام، أو لإفادة العموم، فهُم يطلبون أيَّ مَردٍّ يكون فيه خلاصُهم ممّا يلاقونه من العذاب.

دلالةُ التَّعبير بالمصدر الميميِّ ﴿مَرَدٍّ﴾:

المصدرُ الميميُّ أدلُّ على يأسِ الظّالمين مع لهفتهم لأيِّ طريق للخلاص

(المَرَدُّ) في قوله تعالى ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ مصدرٌ ميميٌّ للرَّدِّ، وقد عبَّر به القرآنُ دونَ المصدر القياسيِّ الأصليِّ، وهو (ردٌّ)؛ لاتِّساع دلالة المصدر الميميِّ ﴿مَرَدٍّ﴾؛ فإنَّه يأتي بمعنى الرَّدِّ، أي الرُّجوع، يُقال رَدَّهُ؛ إذا أرجَعَهُ، ويجوزُ أن يكون بمعنى الدَّفْعِ، أي

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 37.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 125.

هل إلى ردٍّ العذاب عنّا الَّذي يبدو لنا سبيلٌ حتّى لا نقع فيه، فهوَ في مَعنى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطّور: 7 - 8][1]، ولأَنَّ المصدر الميميَّ في دلالته على الحدث أقوى من دلالة المصدر العامِّ، فالتَّعبيرُ بالمصدر الميميِّ يصوِّرُ المعنى المصدريَّ واقعًا قائمًا متحقِّقًا في الوجود، والمعنى هل إلى ردٍّ إلى دارِ العمل وزمانه، مُخلِّصٍ من هذا العذاب[2]، وهذا يدلُّ على أنَّهم بلغوا الغايةَ في تمنِّيهم لأمرٍ لا يتحقَّق لما رأوا من عذاب.

الغرضُ من تنكير ﴿مَرَدٍّ﴾ و﴿سَبِيلٍ﴾، ودلالة دخول ﴿مِّن﴾ على ﴿سَبِيلٍ﴾:

صيغةٌ موحيةٌ بانهيارِ الظّالمين مع التَّطلُّع إلى أيِّ بارقةٍ للخلاص

أفادَ تنكيرُ ﴿مَرَدٍّ﴾ و﴿سَبِيلٍ﴾، في قوله تعالى: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾، العمومَ والإبهامَ، والمعنى: يتمنَّون حينما يرون العذاب أن يُردّوا أيَّ مَردٍّ من أيِّ سبيل؛ كي يُؤمنوا، ويعملوا صالحًا، ونلحظ مع الدَّلالة على العموم فيهما الدَّلالةَ على المبالغة في التَّعظيم في ﴿مَرَدٍّ﴾؛ لأنَّهم يرونه في هذا اليوم عظيمًا بعيدَ المنال، والدَّلالة على المبالغة في التَّحقير في ﴿سَبِيلٍ﴾؛ إذ إنَّهم يتمنَّون الرَّدَّ من أيِّ سبيل، ولو كان ضئيلًا[3]، ودخول ﴿مِّن﴾ الَّتي هي للصِّلة على النَّكرة ﴿سَبِيلٍ﴾؛ للمبالغة في هذا المعنى المراد من التَّنكير، بما يدلُّ على شدَّة ضيقِهم من رؤيتهم العذابَ.

سرُّ التَّعبير بـ﴿سَبِيلٍ﴾ دون غيره:

تمنّي أهلِ النّار لطريقٍ سَهْلٍ يوصلُهم إلى غايةِ الخلاص من العذاب

إيثارُ التَّعبيرِ بلفظ السَّبيل في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾، دون غيره من الألفاظ كالمَخْرج أو المَنْفذ مثلًا؛ لكون لفظِ السَّبيل أوسعَ دلالةً، وأنسبَ للسّياق والمقام، وأدقَّ في التَّعبير؛ إذ دلَّ معنى السَّبيل على تمنّيهمُ الرُّجوع إلى الدُّنيا للعمل فيها وتدارك ما فاتهم، بطريقٍ سهل طويل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 125.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 342.
(3) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 425.

ظنّوا أنَّهم سيحقِّقون في نهايته غايتَهم، وهو الخلاص من العذاب[1]، وليس مجرَّدَ مخرجٍ مؤقَّتٍ، ودلَّ كذلك على تمنّيهم أيَّة طريقةٍ ووسيلةٍ تدفع عنهم العذابَ، وتنقذهم منه، بينما لو عبَّر بالمَخْرج أو المَنفذ؛ لما دلَّ على هذه المعاني الدَّقيقة؛ إذ يَدُلّان على الخروج من مكان محصور ومُغلَق، فالمَخرَجُ يُشيرُ إلى مكان الخروج من أزمة أو ضيق، والمَنفذ يُطلَق على الخروج، وموضع نفوذ الشَّيء، كالفتحة في جدار[2].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سبل).
(2) الفيوميّ، المصباح المنير، وأحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (نفذ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"